فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

١- آدم عليه السلام
٢- نوح عليه السلام
٣- هود عليه السلام
٤- صالح عليه السلام
٥- إبراهيم عليه السلام
٦- إسماعيل عليه السلام
٧- يُوسُف عليه السلام
٨- شُعيب عليه السلام
٩- أيّوب عليه السلام
١٠- يونُس عليه السلام
١١- موسى عليه السلام
١٢- داود عليه السلام
١٣- سُليمان عليه السلام
١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
١٥- عيسى عليه السلام
١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاًّ نقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاتُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِيْن**)

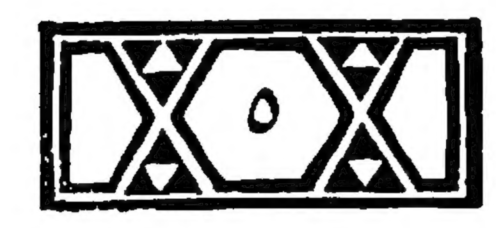
الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

من قصص
الأنبياء
عليهم السلام

ابراهيم الخليل
عليه السلام
خليل الله



إعداد وترتيب : زهير مصطفى
مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ

نسبُ إبراهيمَ وسيرتُهُ

هُوَ إبْرَاهِيمُ بْنُ آزَرَ كَمَا ذُكِرَ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ، وَيَمْتَدُّ نَسَبُهُ عَلَيْهِ السَّلامُ، إلى سَامِ بْنِ نُوْحٍ عَليْهِ السَّلامُ، وَلهُ مِنَ الإخْوَةِ "نَاحُوْرُ" وَهَارَانُ وَقَدْ وُلِدَ إبْرَاهيْمُ الخَليْل عَليْهِ السَّلامُ فِي بَابِل، أرْضِ الكَلدَانيِّيْنَ.

ثُمَ هَاجَرَ "آزَرُ" وَالدُ إبْرَاهِيْمَ عَليْهِ السَّلامُ، مِنْ أرْضِ الكَلدَانِيِّيْنَ، إلى أرْضِ الكَنْعَانِيِّيْنَ، بِصُحْبَةِ إبْرَاهِيمَ عَليْهِ السَّلامُ، وَزَوْجَتِهِ سَارَةَ، التِيْ كَانَتْ عَاقِراً لا تَلدُ، وَابْنِ أخِيْهِ لوْطِ بْنِ هَارَانَ عَليْهِ السَّلامُ. وَكَانَ سُكَّانُ الجَزِيرةِ وَالشَّامِ آنَذَاكَ، يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ، وَلِهَذَا كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أبْوَابِ دِمَشْقَ التِي عَمَّرُوْهَا هَيْكَلٌ لكَوْكَبٍ مِنْ هَذِهِ الكَوَاكِبِ. فَكَانَ كُلُّ سُكَّانِ الأرْضِ كُفَّاراً، سِوَى إبْرَاهِيْمَ الخَلِيلِ عَليْهِ السَّلامُ، وَامْرَأتِهِ سَارَةَ، وَابْنِ أخِيْهِ لوْطٍ عَليْهِ السَّلامُ. فَعَمِل إبْرَاهِيْمُ عَليْهِ السَّلامُ، مُنْذُ صِغَرِهِ عَلَى مُحَارَبَةِ هَؤُلاءِ الأقْوَامِ حَتَّى اسْتَطَاعَ بِفَضْل اللهِ عَزَّ وَجَل، أنْ يُزِيْل تِلكَ الشُّرُورَ، وَيُبطِل الضَّلال، فَإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أرْسَلهُ رَسُولاً،

بَعْدَ أنْ آتَاهُ رُشْدَهُ فِي صِغَرِهِ، فَقَال اللهُ تَعَالى:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[1].

عُبَّادُ الكواكب

وَكَانَ الإنْسَانُ بِسَبَبِ جَهْلِهِ وَضَلالهِ، قَدْ رَأى تِلكَ الأجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ، وَالكَوَاكِبَ المُنِيرَةَ، فَخَافَهَا، فَمَا كَانَ مِنْهُ إلا أنْ عَبَدهَا ظَنًّا مِنْهُ أنَّهَا آلِهَةٌ، تَنْفَعُ وَتَضُرُّ، فَبَيَّنَ لهُمْ إبْرَاهِيْمُ عَليْهِ السَّلامُ، أنَّ هَذِهِ الكَوَاكِبَ لا تَصْلحُ للألوْهِيَّةِ، لأنَّهَا مِنْ صُنْعِ اللهِ عَزَّ وَجَل، فَهِيَ مَخْلوقَةٌ، تَظْهَرُ حِيْناً، وَتَخْتَفِي حِيْناً آخرَ، وَالرَّبُّ لا يَجُوزُ عَليْهِ ذَلكَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

وَأعْلنَ إبْراهِيْمُ عَليْهِ السَّلامُ، أنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ القَوْمُ وَأنَّهُ قَدْ آمَنَ بِالذِي قَدْ خَلقَ السَّمَواتِ وَالأرْضَ. يَقُول اللهُ تَعَالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾

---

(١) سورة الأنبياء (٥١).

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ[1] قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ
قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

دعوتُهُ لأبيه

كَانَ "آزَرُ" وَالدُ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، مِمَّنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَالأوْثَانَ، وَلِهَذَا بَدَأَ إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، أَوَّلَ مَا بَدَأَ بِدَعْوَةِ أَبِيْهِ إلَى الإيْمَانِ لأَنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ بِإخْلاصِ النَّصِيْحَةِ لهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا
يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ
عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ
وَلِيًّا﴾[3].

فَدَعَاهُ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ فِي الآيَاتِ السَّابِقَةِ، إلى تَرْكِ عِبَادَةِ

---

(١) أفَلَ: غاب.

(٢) سورة: الأنعام (٧٥ ـ ٧٩).

(٣) سورة: مريم (٤١ ـ ٤٥).

الأوْثَانِ، التِي لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ وَالتِي كَانَ النَّاسُ يَنْحِتُونَها بأيدِيهِمْ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ لعَبْدٍ أنْ يَخلقَ إلهَهُ، ألَيْسَ هَؤُلاءِ الكَفَرَةُ أقْرَبَ إلى المَجَانِينِ الَّذِينَ مَسَّ عُقُولهُمُ الخَبَلُ، فَكَانُوا كَالأعْمَى الذِيْ يَخْبِطُ خَبْطَ عَشْوَاء، بَل هُمْ أضَل. لكَنَّ أبَاهُ لمْ يَمْتَثِل لنَصِيْحَةِ ابنِهِ وَلمْ يَقْبَلها مِنْهُ بَل رَاحَ يُهَدِّدُهُ وَيَتَوَعَّدُه، إنْ هُوَ اسْتَمَرَّ فِي دَعْوَتِهِ تِلْكَ، وَفِي إيْذَاءِ الآلهَةِ، وَأقْسَمَ أنَّه إنْ لمْ يَدَعِ الدَّعْوَةَ تِلكَ، وَيَعُودَ إلى عِبَادَةِ الأوْثَانِ وَالأصْنَامِ، فَلسَوْفَ يَرْجُمُهُ. قَال اللهُ تَعَالى:

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[1].

أمَّا إبْرَاهِيمُ الخَلِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَلمْ يُغْلظْ فِي القَوْل مَعَ أبِيْهِ، بَل كَانَتْ مُحَاوَرَتُهُ لهُ تَنِمُّ عَنْ لطْفِهِ وَتَأدُّبِهِ مَعَ أبِيْهِ، بَل تَكْشِفُ عَنْ حُبِّهِ لهُ وَاحْتِرَامه، وَلهَذَا قَال إبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلامُ لأبِيْهِ الجَاحِدِ الكَافِرِ:

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا[2] ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[3].

---

(١) سورة: مريم (٤٦).

(٢) حفيا: أي باراً لي يجيب دعوتي.

(٣) سورة: مريم (٤٧، ٤٨).

وَكَانَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَاراً بِأَبِيْهِ، إِذْ لم يُؤْذِهِ وَلَمْ يُصِبْهُ بِأَذَىً، أَوْ مَكْرُوهٍ، بَل اسْتَغْفَرَ لهُ كَمَا وَعَدَهُ، وَلمّا عَرَفَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ وَالدَهُ عَدوٌّ للهِ عَزَّ وَجَل، تَبَرَّأَ مِنْهُ كَمَا قَال تَعَالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾(١).

عَبدةُ الأصنام

وَأمَّا أَهْل بَابِل مِنَ الكَلدَانِيِّينَ، فَكَانُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ، وَكَانَ وَالدُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ هَؤُلاءِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا، وَلهَذَا قَال اللهُ تَعَالى عَلَى لسَانِ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ:

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

وَقَدْ أَنْكَرَ إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى قَوْمِهِ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ، وَحَقَّرَهَا وَسَخِرَ مِنْهَا وَمِنْهُم، يَقُول اللهُ تَعَالى عَلَى لسَانِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

---

(١) سورة التوبة (١١٤).

(٢) سورة الأنعام (٧٤).

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾[1] .

فَمَاذَا كَانَ رَدُّهُم وَحُجَّتُهُم؟ قَالوا: إنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا يَصْنَعُونَ مَا نَصْنَعُ فَنَحْنُ عَلَى سِيْرَةِ آبَائِنَا سَائِرُونَ:

﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾[2] .

ثُمَّ قَال إبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَمَاذَا أَنْتُمْ فَاعِلونَ إذَا لَقِيْتُمْ رَبَّ العَالَمِينَ، وَقَد عَبَدْتُمْ مَالا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ وَمَا لايَسْمَعُ وَلا يُجِيْبُ:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] .

وَيَقُول اللهُ تَعَالى عَلَى لِسَانِ إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[4] .

وَحَسِبَ الكَافِرُوْنَ أَنَّ إبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُمَازِحُهُم أوْ يُلاعِبُهُم فِيْمَا يَدْعُوهُمْ إليهِ وَفِيْمَا يَنْهَاهُمْ عَنْهُ:

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾ .

---

(١) سورة الأنبياء / ٥٢/ عاكفون: خاضعون

(٢) سورة الأنبياء (٥٣).

(٣) سورة الصافات (٨٥ ـ ٨٧).

(٤) سورة الشعراء (٧٢ ـ ٧٤).

فَقَال إِبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَا أَقُول ذَلكَ إلا جَادّاً غَيْرَ مَازِحٍ، فَإِلَهُكُمُ اللهُ الذِي لا إلهَ إلا هُوَ، خَالقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، الذِي يَسْتَحِقُّ العِبَادَةَ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَأَنَا عَلَى ذَلكَ أَشْهَدُ.

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ[1] وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾.

تحطيمُ الأوثان

وَلمَّا لمْ يَجِدْ إبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ نَفْعاً فِي قَوْمِهِ، وَيَئِسَ مَنْ إقْلاعِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَامِ، قَرَّرَ فِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، أنْ يُحَطِّمَ الأَصْنَامَ، وَيَكْسِرَهَا فَانْتَهَزَ فُرْصَةَ خُرُوْجِ القَوْمِ، إلى خَارِجِ المَدِيْنَةِ ليَحْتَفِلوا بِعِيْدٍ لهُمْ، يَحْتَفِلونَ بِهِ كُل عَامٍ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَحَمَل فَأسَهُ وَاتَّجَهَ إلى بَهْوٍ عَظِيْمٍ، وَضَعُوا فِيْهِ آلهَتَهُمْ، التِي يَزْعُمُونَ، فَوَجَدَ أَمَامَهَا أنْوَاعاً مِنَ الأَطْعِمَةِ كَانُوا يَتَقرَّبُونَ بِهَا إِلَى آلهَتِهِمْ، فَقَال إبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لهَا سَاخِراً مُسْتَهْزِئاً:

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾[2].

---

(١) فطرهن: خلقهن.

(٢) سورة الصافات (٩١، ٩٢، ٩٣). فراغ: ذهب في خفية.

ثُمَّ مَال عَليْهَا بِفأْسِهِ وَحَطَّمَهَا وَاحِداً تِلوَ الآخَرِ، وَأبقَى عَلَى كَبِيْرِ الآلِهَةِ، لكَيْ يَشْهَدَ لقَوْمِهِ إنِ اسْتَطَاعَ، وإِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ وَلَنْ يَسْتَطِيْعَ فَهَذَا دَليْلٌ عَلَى بُطْلانِ ألوْهِيَّتِهِم، وَحُجَّةٌ دَامِغَةٌ سَاطِعَةٌ لهَؤُلاءِ القَومِ الكَفَرَةِ، عَلَى أنَّ هَذِهِ التَّمَاثِيْل لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ وَلوْ كَانَتْ كَذَلِكَ لدَافَعَتْ عَنْ نَفْسِهَا عَلَى أقَل تَقْدِيْرٍ:

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا[(١)] إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[(٢)].

وَعِنْدَمَا عَادَ القَوْمُ مِنْ عِيْدِهِمْ وَذَهَبُوا إلى مَعْبَدِهِمْ، ليُقَدِّمُوا الطَّاعَةَ لآلهَتِهِمْ، وَجَدُوهَا وَقَدْ تَهَاوَتْ عَلَى الأرْضِ مُتَحَطِّمَةً مُتَكَسِّرَةً. وَلوْ كَانُوا يَعْقِلون لأدْرَكُوا بُطْلانَ ألوْهِيَّتِهَا، وَلكنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ وَخِفَّةِ عَقْلِهِمْ، قَالوا: مَنْ فَعَل هَذَا بِآلهَتِنَا؟ إنَّهُ لا شَكَّ مِنَ الظَّالِمِين.

﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[(٣)].

فَقَال رَجُلٌ مِنْ بَيْنِهِمْ لَقَدْ سَمِعْتُ فَتَىً يَذْكُرُ آلِهَتِنَا بِسوءٍ، يُدْعَى إبْرَاهِيْمُ فَأمَرَ القَوْمُ أنْ يُحْضَرَ هَذَا الفَتَى أمَامَ النَّاسِ وَعَلَى رُؤُوْسِ الأشْهَادِ، ليَسْمَعُوا مَا يَقُولهُ وَيَرَوْا مَا سَيَحِل بِهِ مِنَ العِقَابِ:

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ

---

(١) جذاذا: حطاماً.

(٢) سورة الأنبياء (٥٧، ٥٨).

(٣) سورة الأنبياء (٥٩).

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[1].

وَجِيءَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَوَقَفَ أَمَامَ النَّاسِ، مَرْفُوعَ الجَبِيْنِ، وَاثِقاً مِنْ نَصْرِ اللهِ عَزَّ وَجَل، وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ تُهْمَةَ تَحْطِيْمِ أَصْنَامِهِم. عِنْدَهَا قَال سَاخِراً مُتَهَكِّماً مِنْهُم.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[2].

وَحِيْنَئِذٍ عَادُوا إلى أَنْفُسِهِم يَلومُونَهَا، فَهُمُ الذِيْنَ تَرَكُوا أَوْثَانَهُمْ بِلا حَافِظٍ أَوْ حَارِسٍ وَقَالوا: كَيْفَ نَسْأَلُهَا وَهِيَ لاَ تَنْطِق؟:

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[3].

فَعِنْدَئِذٍ قَال لهُمْ إِبْرَاهِيْمُ الخَلِيْل عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مُسْتَغْرِباً كَيْفَ يَعْبُدُونَها إذاً، وَهِيَ لا تَسْمَعُ وَلا تَنْطِقُ بِاعْتِرافِهِمْ هُمْ: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ[4] لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الأنبياء (٦٠، ٦١).

(٢) سورة الأنبياء (٦٢ ـ ٦٥).

(٣) سورة الأنبياء (٦٤ ـ ٦٥).

(٤) أفٍّ: اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر.

(٥) سورة الأنبياء (٦٦، ٦٧).

وَلمَّا ضَاقَتِ الحِيْلةُ بِهِمْ، وَسُدَّتْ أمَامَهُمُ المَنَافِذُ، وَرَأَوْا أنَّ إبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، مَاضٍ فِي تَسْفِيْهِ أحْلاَمِهِم، وَالسُّخْرِيَةِ مِنْ آلهَتِهِمْ، وَمُؤْمِنٌ باللهِ عَزَّ وَجَل، الذِيْ لنْ يَخْذُلَهُ أبَداً، أصْدَرُوا حُكْمَهُمُ الجَائِرَ عَليْهِ. فَحَفَرُوا حُفْرَةً عَظِيْمَةً، وَشَرَعُوا يَجْمَعُونَ الحَطَبَ مِنْ كُل حَدَبٍ وَصَوْبٍ، حَتَّى إنَّ المَرْأةَ كَانَتْ تَنْذِرُ إنْ هِيَ عُوفِيَتْ[1] مِنْ مَرَضِهَا، لتَحْمِلنَّ حَطَباً، لِحَرِيقِ إبْرَاهِيمَ، وَمِنْ ثَمَّ أضْرَمُوا[2] فِيْهَا النَّارَ فَعَلتْ ألسِنَتُهَا، وَتَأجَّجَتْ، ثُمَّ قَيَّدُوهُ وَألقَوهُ فِي النَّارِ المُلتَهِبَةِ، وَلسَانُ حَالهِ يَقُول: لا إلهَ إلا أنْتَ سُبْحَانَكَ رَبَّ العَالَمينَ وَعِنْدَمَا صَارَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إلى وَسَطِهَا قَال: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْل.

﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ۝ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[3].

وَمِمَّا يُرْوَى عَنْ أبِيْ هُرَيْرَةَ الصَّحَابِيِّ الجَليْل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّهُ قَال: قَال رَسُوْل اللهِ ﷺ:

---

(١) عوفيت: شفيت.

(٢) أضرموا: أشعلوا.

(٣) سورة الصافات (٩٧، ٩٨).

لمَّا ألقِيَ إبْرَاهِيْمُ فِي النَّارِ قَال: اللهُمَّ إنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ. وَأنَا فِي الأرْضِ وَاحِدٌ أعْبُدُكَ.

وَظَنَّ المُجْرِمُونَ الكَافِرُونَ أَنَّهُم قَدْ تَخلصُوا مِنْ إبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَنَسُوْا أنَّ لإبْرَاهِيْمَ ربّاً يَحْمِيْهِ، وَحَسِبُوا أنهُمْ قَدِ انْتَقَمُوا لآلِهَتِهِم. إلا أنَّهُم بَاؤُوا بِفَشَلٍ ذَرِيعٍ وَحَقَّ عَليْهِمُ العَذَابُ، وَصَارُوا مِنَ الخَاسِرِيْنَ، الذِيْنَ ستُكْوى جِبَاهُهُم بِنَارٍ حَامِيَةٍ، لا يَلقَوْن فِيْهَا تَحِيَّةً وَلا سَلاماً، وَلا تَكُونُ عَليْهِمُ النَّارُ بَرْداً وَلا سَلاماً:

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[1].

نمرودُ الكافر

ادَّعى نُمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ، مَلكُ بَابِل الرُّبُوبِيَّةَ، وَتَجبَّرَ وَتكَبَّرَ، وَظَنَّ أنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أنْ يُحْيِيَ وَيُمِيْتَ، فَتَصَدَّى لهُ إبْرَاهِيْمُ الخَلِيْل عَليْهِ السَّلامُ، وَدَعَاهُ إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لهُ، إلا أنَّ نُمْرُودَ، أنْكَرَ الخَالقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَلمَّا لمْ يُفْلحْ إبْرَاهِيْمُ عَليْهِ السَّلامُ فِي رَدْعِهِ رَغْمَ الحُجَّةِ القَوِيَّةِ التِّي جَابَهَهُ بِهَا، عِنْدَمَا تَحدَّاهُ فَقَال: إنَّ اللهَ

---

(١) سورة الأنبياء (٦٨ ـ ٧٠).

عَزَّ وَجَل يَأتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَهَل تَسْتَطِيْعُ أنْتَ أنْ تَأتِيَ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ؟.

عِنْدَهَا وَقَفَ هَذَا المَلكُ الضِّلِّيلُ، مَدْهُوشاً مَبْهُوتاً، فَهُوَ لن يَسْتَطِيْعَ فِعْل هَذَا، بَل هُوَ أعْجَزُ مِنْ أنْ يَخْلق بَعُوْضَةً يَقُول الله عَزَّ وَجَل:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ[1] إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[2].

هجرتُهُ إلى بلاد الشام

تَرَكَ إبْرَاهِيْمُ الخَليْل عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِلادَهُ وَهَجَرَ قَوْمَهُ، مُتَوَجِّهاً إلى بِلادِ الشَّامِ، إذْ لمْ يُؤْمِنْ بِهِ أحَدٌ، سِوَى ابْنِ أخِيْهِ لوْطٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَزَوْجَتِهِ سَارَةَ، التِي كَانَت عَاقِراً لا تَلدُ كَمَا سَلفَ، وَأثْنَاءَ مُرُوْرِهِ بِمِصْرَ، أهْدَاهُ مَلكُها جَارِيَةً يُقَال لهَا "هَاجَرُ"، لتَقُوْمَ عَلَى خِدْمَةِ سَارَةَ. وَلكِنَّ سَارَةَ رَغِبَتْ أنْ تُزَوِّجَها لإبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،

---

(١) حاجَّ: ناظر وجادل.

(٢) سورة البقرة (٢٥٨).

عليها [illegible] أن الولد. وتمَّ الزَّواجُ وحملتْ هاجرُ، ثُمَّ ولدتْ فجاءَ
إسماعيلُ عليه السلامُ. يقولُ اللهُ تعالى في كتابهِ العزيزِ:
﴿فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى
ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وهكذا بشَّرَ اللهُ إبْراهيمَ عليْهِ السَّلامُ، بأنَّهُ سيُرْزَقُ بالأوْلادِ مِنْ زوجتِهِ العاقرِ، التي دُهِشَتْ واسْتَغْرَبَتْ، كَيْفَ يكُونُ هَذا؟ وأنا عاقِرٌ [illegible] وَزَوْجِي إبْرَاهِيْمُ شَيْخٌ كَبِيْرٌ، ولكنَّها قُدْرَةُ الله عزَّ وجل، الذي [illegible] أرادَ شَيْئاً أنْ يقُول لهُ كُنْ فيَكُونُ:

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ(١) إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن
جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ(٢) ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ
خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا
بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى
شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾(٣).

---

(١) الملائكة.

بناءُ البيتِ العتيق

أمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَل خَلِيْلَهُ إبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتاً، يَكُونُ لأَهْلِ الأَرْضِ يَحُجُّونَ إِلَيْهِ، وَيَعْبُدُونَ فِيْهِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَرْشَدَهُ اللهُ تَعَالَى إلى مَكَانِ الْبَيْت فَبَنَى إبْرَاهِيْمُ مَعَ ابْنِه إسْمَاعِيْلَ، الْبَيْت الْعَتِيقَ، الّذي هُوَ أَوّلُ مَسْجِدٍ وُضِعَ لِلْنَّاس كَافَّةً قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ﴾[1].

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِيْنِ، وَالنَّاسُ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الْعَتِيْق، مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ يُؤَدُّونَ شَعَائِرَ اللهِ وَشَعَائِرَ أَبِيْهِمْ إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ[2] مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[3].

وَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ الشَّرِيْفُ، فِي أَشْرَف الْبِقَاع، وَفِي وادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، فَدَعَا إبْرَاهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ لأَهْلِهِ بِالبَرَكَةِ وَالرِّزْق، فَاسْتَجَابَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَهُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة (١٢٧).

(٢) ببكة: اسم من أسماء مكة المكرمة.

(٣) سورة آل عمران (٩٦).

(٤) سورة العنكبوت (٦٧).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾[1].

وَسَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ أَنْ يَبْعَثَ فِيْهِمْ رَسُولاً مِنْهُم، يُعَلِّمُهُمْ وَيَهْدِيْهِمْ فَاسْتَجَابَ اللهُ لَهُ: فَبَعَثَ فِيْهِم خَيْرَ أَنْبِيَائِهِ وَخَاتِمَهُمْ مُحَمَّداً ﷺ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ، وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ، فِي الْعَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيدٌ.

* * * * *

(١) سورة القصص (٥٧).